

عن وزراء الأمير

إن اختبار الوزراء ومعرفة إن كانوا جيدين أم لا، أمرٌ ليس قليل الأهمية بالنسبة للأمير. فمن خلاله تظهر حكمة هذا الأمير ويؤخذ الانطباع الأول عن تفكيره من خلال نظرة شاملة للرجال المحيطين به. فإن كانوا قادرين أوفياء، كان هو متبصر حكيم لأنّه استطاع اكتشاف مهاراتهم وقدراتهم وعرف كيف يُحافظ على وفائهم له. أمّا إذا كانوا غير ذلك... فيمكننا حينها أن نطلق عليه حكماً بأنّه قليل الحكمة، لأن خطاه الأول كان اختياره هذا.

فمثلاً... كل من عرف السيد "أنطونيو دي فونافور" كوزير لـ "باندولفو بوتروكسي"، وأمير لـ "ستين"... شهد بأن "باندولفو" رجل باسل وذو قيمة لأنّه اختار "أنطونيو" وزيراً له. إن العقول ثلاثة أنواع: الأول يفهم بذاته، والثاني يُدرك ما يفهمه الآخرون، أمّا الثالث فلا يفهم لا بذاته ولا من الآخرين... النوع الأول ممتاز جداً... والثاني ممتاز أيضاً... أمّا الثالث فهو غير نافع.. لذلك إن لم يكن "باندولفو" من النوع الأول فهو بالضرورة من النوع الثاني.

ففي كل مرّة يتوجّب فيها على شخص أن يحكم على قول أو فعل أحدهم بالجد أو بالسوء، حتّى إن لم يكن لدى هذا الشخص تصوّر وخيال، فإنّه ينظر إلى الأفعال الجيدة والسيئة للوزير، فيعظّم الأولى ويصحح الثانية. وهنا يجب على الوزير ألاّ يأمل أن يخدع هذا الشخص ويبقى جيداً.

لكن كيف يُمكن للأمير أن يكتشف حقيقة وزيره؟ إليك الطريقة التي لا تخيب أبداً: إذا كان الوزير يفكر بنفسه أكثر ممّا يفكر بك... ويهدف من وراء كل تصرّفاته إلى منفعته الخاصة، فاعلم بأنّه ليس وزير جيد... وأنك لن تستطيع الاعتماد عليه قط، لأنّ من لديه مسؤولية الدولة ليس عليه أبداً أن يفكر بذاته... بل عليه التفكير دائماً بأمره ودولته... ولا يجب عليه أن يُسرف في الاهتمام بعمل لا يرفع من شأن الأمير.

ومن ناحية أخرى.. على الأمير أيضاً أن يفكر بوزيره، لكي يبقى هذا الأخير جيداً ومفيداً... ويتجلّى تفكيره هذا من خلال تشريفه وتكريمه وجعله رجلاً غنياً... فيصبح بذلك خادمه الأمين. وعلى الأمير أن يجعل هذا الوزير

يشترك بالتكريمات ويأخذ المسؤوليات، لكي يُدرك بأنّه لا يمكنه المحافظة على نفسه ومركزه دون الأمير، فتقديراته المتعددة تجعله لا يأمل بأكثر من ذلك... وأملكه الكثيرة تجعله لا يطمح إلى المزيد من الغنى... ومسؤولياته الواسعة تُبعده عن الخوف من التغييرات.

عندما يكون الوزراء هكذا... يُصبح من الممكن لكل الأمراء والوزراء أن يعتمد بعضهم على بعض فإن لم يكونوا كذلك... فإن النهاية ستكون بالتأكيد مؤسفة للطرفين.

كيف يمكن التخلص من المتملقين

في حديثنا عن الأمراء ومن حولهم... هناك جانب هام وخطأ يدافع الأمراء قليلو الحكمة عن أنفسهم في وجهه بصعوبة، وليس في نيتي أن أمل هذا الجانب....

ها هم المتملقون يملؤون البلاطات.. لأن الرجال بحاجة إلى إرضاء أنفسهم بقدر من أعمالهم الخاصة التي يذعنون أنفسهم بها... حيث يدافعون من خلالها عن أنفسهم في وجه هذا الطاعون^(١) وبسبب هذه الإرادة في الدفاع عن النفس يواجهون خطر الاحتقار، فليس هناك طرق أخرى لحماية أنفسهم من المتملقين، إلا إذا فهم الرجال أنهم لا يسيؤون للأمير إذا قالوا الحقيقة له.

لكن عندما يُصبح قول الحقيقة هذا مُتاح للجميع يقلُّ احترام الأمير. إذاً، يجب على الأمير إن كان حكيماً أن يعتمد الطريقة الثالثة فيختار من دولته رجالاً عُقلاء يُعطي لهم فقط حرية قول الحقيقة... وأيضاً ليس في كل المواضيع، بل فقط فيما يخص الأمور التي يطلبها هو منهم. ومع ذلك يبقى من الواجب عليه أن يسألهم ويستشيرهم ويسمع رأيهم... ومن ثم يأخذ قراره النهائي وحده وعلى طريقته. وبذلك يعلم هؤلاء الناصحون بأنهم كلما تكلموا بصراحة وحرية أكثر، زاد تقبُّل الأمير بهم وإعجابه لهم.. فهو لن يرغب في سماع أحدٍ سواهم وعندها سيسير أو سيغيّر رأيه غالباً بسبب الآراء المختلفة... ومن هنا تتولّد قلة تقديره واحترامه.

وأريد هنا أن أورد مثالاً حديثاً عن الكاهن "لوقا"، رجلٌ من "ماكسيميان" والإمبراطور الحالي... قيل عن عظمتة أنّه لم يأخذ بنصح أحد... ومع هذا لم يقم بشيء على طريقته... وهذا يدلُّ على أنّه كان يتصرّف بعكس الوارد أعلاه، فالإمبراطور رجل سرّي وكتوم، لا يشارك أحداً أفكاره ولا يقول لأحد عن أهدافه.. ولا حتّى يأخذ برأي أحد فيما يخصُّ هذه الأهداف. لكن ما إن يبدأ بالتطبيق حتّى يبدأ بالكشف والإيضاح...

ويرافق ذلك مواجهة لاعتراضات مَنْ حوله، الذين لم يفهموا ما يريده أو ما ينوي عمله... وبالتالي لا يُمكن الوثوق بهذه القرارات.

إذاً، يجب على الأمير دائماً أن يستشير ويأخذ النصيح، لكن عندما يريد هو ذلك وليس عندما يريده الآخرون، بل على العكس عليه أن يردّ كل ناصح لم يطلب منه النصيح. وبالمقابل عليه أن يكون مطالباً واسعاً للنصيحة، وأن يكون فيما يخص الأشياء المطلوبة مستمعاً صبوراً حقاً، وأن يثور على مَنْ يُخفي عنه الحقيقة.

وكل مَنْ يظنُّ أن هناك أمير صنع سمعة وقيمة من خلال نصائح وآراء الآخرين وليس بطبيعته، يكون مخطئ، لأن القاعدة العامة التي لا شك فيها تقول أنَّ الأمير الذي تنقصه الحكمة والتبصُّر، لن ينتصح أبداً بحكمة غيره، إلا إذا وضع نفسه بكليته تحت حكم رجل حكيم وذلك لا يتم إلا بالصدفة، وفي هذه الحالة يمكن أن يكون أميراً جيداً.. لكن حكمه لا يطول، لأن هذا الرجل الحكيم سينتزع منه الدولة بوقت قصير جداً.

وإذا أخذ الأمير بنصيحة أكثر من شخص، وكان من النوع الذي تنقصه البصيرة، فإنه سيجد نفسه دائماً أمام آراء متعارضة، ولن يعرف كيف يرتبها ولا كيف يوحدّها ليصل إلى ما يريد.

في الحقيقة... إنَّ مَنْ ينصح لا يفكر إلا بما يعود عليه بالنفع، أو بما يتصل به بشكل أو بآخر. ولن يُصلح الناصحون... ولن تُعرف حقيقتهم، ولا يمكن للأمور أن تكون غير ذلك، لأن الرجال أشرار دائماً، إلا إذا أُجبروا على أن يكونوا طيبين.

وهكذا نجد أنَّ النصائح الجيدة تعود دائماً لحكمة الأمير ذاته، وليس حكمة الأمير مصدرها هذه النصائح الجيدة.

لماذا فقد أمراء إيطاليا مملكاتهم

إذا ما أخذت الأمور الأنفة الذكر بعين الحكمة.. فإنها تجعل الأمير الجديد يبدو كأنه قديم، وتزيده طمأنينة ورسوخاً في الدولة. لأنّ تصرفات هذا الأمير الجديد تكون محط الملاحظة أكثر من تصرفات الأمير بالوراثه، وعندما تكون مشهورة بفضيلتها... فإنها تجذب الرعايا وتخضعهم أكثر بكثير مما تخضعهم دماء الأسلاف... فالناس يؤخذون بالأمور الحاضرة أكثر مما يؤخذون بأمور مضت... وعندما يجدون الخير والإحسان في الحاضر، يرتبطون به ولا يبحثون عن أي شيء آخر. بل على العكس... يُدافعون بكل قوتهم عن حاكمهم إذا هو أبدى جدارة في ذاته بالنسبة للأمور الأخرى. وهكذا، سيكون له مجد مضاعف، لأنه بدأ إمارة جديدة، ثم لأنه جمّلها ورسّخها بالقوانين الجيدة والجيش المنظم والأمثلة والنماذج الحسنة. هذا عكس الأمير بالوراثه. الذي سينال هواناً مضاعفاً إذا فقد دولته لضعف حكمه.

وإذا ما نظرنا في عصرنا هذا إلى الأمراء في "إيطاليا" وكيف فقدوا دولهم، مثل ملك "نابولي" ودوق "ميلان" وآخرين^(١) سنجد فيهم عيباً مشتركاً بالنسبة للجيش... وذلك لنفس الأسباب التي ناقشناها سابقاً بشكل مطوّل... كما سنجد بعضاً منهم عدواً للشعب، أو رغم صداقتهم له لم يستطيعوا أن يأمنوا الكبار أي السادة...

ودون هذه العيوب لا تُفقد الدول إن كانت ذات بأس وقوة كافيتين ليجعلها لها جيشاً في الريف.

"فيليب المقدوني" ليس والد "الأسكندر"، بل ذلك الذي هُزم من قبل "تيتوس كينتوس"، لكنّه تمكّن من الاستمرار في حرب طويلة لسنوات عديدة... لأنّه رجل حرب ويعرف التوصل إلى إقامة علاقة جيدة بالشعب ويعرف كيف يُحافظ على هذه العلاقة ويحفظ نفسه من أذى السادة. وبالرغم

(١) - حيث هُزم من قبل الجيش الفرنسي "لودو فيكو سفورزا" أضع "ميلان" عام ١٥٠٠، و"فريدريك الأول" من "أراغون" أضع "نابولي" عام ١٥٠١.

من أنه قد فقد السيادة على بعض المدن في النهاية، إلا أنه حافظ على ملكيته للمملكة.

بالنتيجة، يجب على الأمراء الذين بقيوا في إماراتهم لسنوات عديدة ومتكررة... ثم فقدوها.. ألا يتهموا القدر بذلك... بل عليهم الاعتراف بتكاسلهم، فهم لم يفكروا أبداً خلال الأوقات الهادئة بأن الأمور يمكن أن تتغير... وهذا خطأ شائع. ففي الهدوء والاستقرار لا يُحسب حساب للعاصفة، وفيما بعد عندما تأتي أوقات المحن والفوضى، يفكرون بالهرب بدلاً من الدفاع عن أنفسهم، ويأملون أن يتذكرهم ذلك الشعب المتضايق من إزعاجات المنتصرين.

إن هذه الناحية تعدُّ جيدة عندما يرتكب الآخرون خطأ... لكنها سيئة جداً عندما نترك الآخرين يعالجوننا، فنستسلم وننتظر مَنْ ينتشلنا... وهذا أمر نادر الحدوث... ولكن سواءً أحدث أم لم يحدث هو غير آمن... إنه دفاع دنيء لا يليق بالأمير.

أما الوسائل الجيدة والمؤكدّة والمستمرة... فهي فقط التي تنبثق من الأمير وحده وتتعلّق بفضيلته.